

الفصل الرابع

نادي الطليعة

يتناول هذا الفصل مرحلة نادي الطليعة في قطر ويغطي الفترة من النصف الثاني لعام ١٩٥٩ إلى النصف الثاني لعام ١٩٦١. يتكون الفصل من الاجزاء التالية: ١- العودة من القاهرة . ٢- تأسيس نادي الطليعة. ٣- ليلة القبض على نادي الطليعة. ٤- أول و إن شاء الله آخر دخول إلى السجن.

العودة من القاهرة

عدت من القاهرة عن طريق بيروت إلى الدوحة بعد حصولي على الشهادة الإعدادية، حيث لا توجد رحلات طيران مباشر بين مصر وقطر آن ذاك.

كنت مضطرا للعودة إذ أن بعثتي الدراسية الخاصة كانت لسنة واحدة ولم أسع لتجديدها، فهي ليست بعثة نظامية أو عامة وإنما كانت مساعدة خاصة مرهونة بظروفها.

عندما عدت لاحظت أن قطر قد تغيرت وبدأت تضيق بشعبها سبل الرزق، بعد أن بلغت الموجة الأولى من عصر النفط أعلى حد لها، نتيجة لبلوغ إنتاج شركة نفط قطر من حقل دخان أعلى مستوى له في عام ١٩٥٨.

كما أثر أيضا تضخم مخصصات الأسرة الحاكمة والتي فاقت ٥٠% من عائدات الدولة من النفط في عام ١٩٥٩، على المتاح للنفقات العامة ولم يتبق للحكومة من عائدات النفط ما يسد الحاجات الضرورية المتزايدة للميزانية العامة.

وبذلك انكشفت الآثار السلبية المترتبة على سياسة تخصيص عائدات النفط وأثقلت على المواطنين الذين شعروا بالظلم وزاد تذرهم.

وقد شكل تذر المواطنين آن ذاك، ضغطا على الوضع السياسي وساهم في بداية توافق الأطراف المتصارعة في الأسرة الحاكمة على تسوية تحت ضغط سلطات الحماية البريطانية. وذلك من أجل الحد من الاستقطاب بين أطراف السلطة، وفسح المجال لتوجيه بعض جهودهم لمعالجة الازمة الاقتصادية ومواجهة التذر الشعبي المتزايد.

وقد تم بموجب تلك التسوية تولي الشيخ أحمد بن علي الحكم، وأصبح الشيخ خليفة بن حمد وليا للعهد ونائبا للحاكم في ٢٤ أكتوبر ١٩٦٠ (١).

وجدير بالملاحظة أنه كان من ضمن شروط التسوية، أن يتولى الشيخ خليفة بن حمد وزارة المالية وأن يوقع مع الحاكم بدل المستشار الانجليزي على الشيكات الصادرة من حكومة قطر. كما تم تحديد مخصصات الأسرة الحاكمة بما لا يزيد على المستوى الذي بلغته عام ١٩٥٩ وهو ٥٠% من عائدات النفط وهو كثير جدا.

ويذكر مصطفى الدباغ مدير معارف قطر آنذاك (٢)، أن الاتفاق نص على أن يتم تخصيص عائدات النفط من تاريخ التسوية وفق ما يلي: ٥٠% للحكومة و ٢٥% للحاكم، و ٢,٥% لولي العهد و ٢,٥% للشيخ علي (الحاكم السابق)، و ٢٠% لبقية أفراد الأسرة الحاكمة. وقد كان هذا الاتفاق يهدف لوضع حد لنمو مخصصات الأسرة الحاكمة على حساب نصيب نفقات الميزانية العامة الذي شهدته المرحلة السابقة.

وجدير بالذكر ان الصراع بين أقطاب الاسرة الحاكمة كان احد اسباب التوسع في منح افراد الاسرة الحاكمة الرواتب والعلوات وتوفير الخدمات الحكومية المجانية لهم. فقد كان كل من الطرفين المتصارعين حريصا على كسب ود الاسرة الحاكمة واستقطاب تأييدها لصالحه، وذلك بتلبية طلبات بعضهم أو العمل مع المطالبين بمزيد من العلاوات والمخصصات لأفراد الاسرة الحاكمة. الأمر الذي جعل مخصصات الاسرة الحاكمة في قطر هي اعلا المخصصات نسبة من عائدات النفط في جميع امارات الخليج العربي. هذا بالرغم من تخوف سلطات الحماية البريطانية في عام ١٩٥٣ كما سبقت الاشارة، من تجاوز مخصصات الاسرة الحاكمة ثلث عائدات النفط ومحاوله المعتمد البريطاني والمستشار الانجليزي لحكومة قطر وضع سقف لها.

عندما عدت إلى قطر، كان أمامي الالتحاق بالمدرسة الثانوية أو العمل ومواصلة الدراسة الليلية، كما كان شأن عدد ممن هم في مثل سني وظروفي بعد ان أتيحت فرصة الدراسة الليلية.

ويبدو إنني بعد تردد قد حزمت أمري وأخذت بفكرة العمل والدراسة الليلية. وربما كنت مدفوعا الى ذلك القرار بسبب حاجتي إلى مصدر دخل، وكذلك حاجة أسرتي الى بناء بيت خاص بها، بعد أن ضاق بنا بيت الحكومة ومنعتنا الحكومة من بناء حجرات إضافية في الحوش الواسع، كما سبقت الاشارة.

تقدمت للعمل في وزارة المعارف التي تحولت إلى وزارة بدل من إدارة وتولاها جاسم بن حمد، وكانت أول وزارة تنشأ في قطر دون وجود لمجلس وزراء أو وزارات أخرى، واستمر ذلك الوضع لفترة حتى أنشئت وزارة المالية في ٥ نوفمبر ١٩٦١.

بيد أن تعييني تأخر في وزارة المعارف بسبب شح فرص العمل للقطريين، فأخذت أبحث عن عمل لدى جهة أخرى، وقد أتيحت لي وظيفة متدرب في البنك العربي فلم أتردد في قبولها.

وأذكر أنني أثناء زيارتي دار المستشارية باحثا عن عمل، قابلت الدكتور حسن كامل المستشار القانوني الذي قدم آنذاك من مصر، ربما لوضع الاتفاقيات والتشريعات التي ينتظر أن يتم التوصل إليها عند انفاذ التسوية السياسية المشار إليها أعلاه. وكان لقائي بحسن كامل عن طريق خالد العزي مدير العمل الذي سبق أن التقيت به في معرض البترول العربي في القاهرة. وفي ذلك الوقت كان المستشار الانجليزي قد غادر قطر وكان يقوم بأعماله مساعده أحمد ملاه من أهل البحرين.

استمر أحمد ملاه قائما بأعمال المستشار، حتى عين الشيخ خليفة بن حمد بعد التسوية، وزيرا للمالية إلى جانب تسميته وليا للعهد ونائبا للحاكم، فأصبح على أرض الواقع يمارس دور المستشار الانجليزي ويرأس الادارة العامة حتى تم تعيين حسن كامل مديرا عاما للحكومة بعد التسوية بفترة، وسميت دار المستشارية بدار الحكومة ومقرها مبنى بلدية الدوحة في الوقت الراهن، مقابل مبنى وزارة الخارجية الذي هدم وأزيل أثره مؤخرا بالرغم من جمال المبنى وقيمه التاريخية.

التحقت بالبنك العربي متدرباً في أواخر عام ١٩٥٩، ومررت خلال فترة التدريب بمختلف أقسام البنك ذات العلاقة بالعملاء. وكان من حسن الصدف ان يكون مبارك بن راشد الهتمي قد سبقني للعمل في البنك العربي، فنشأت بيننا صداقة ومودة جعلتني أشاركة في فكرة إنشاء ناد ثقافي في قطر يختلف

عن الاندية الرياضية من حيث العضوية والغرض، بعيدا عن بيئة كرة القدم التي كانت تستقطب الجهود وتشكل التوجهات المتعصبة بين مشجعي الاندية الرياضية.

نمت صداقة بيني وبين مبارك الهتمي ولم تزل مستمرة حتى يومنا هذا، وتعرفت على والده راشد بن خليفه الهتمي، نوخذا الغوص المعروف والرجل المحترم الذي عاش في زمن غير زمانه فاحتفظ بمكانته وهيبته غير مزاحم للآخرين في عصر غير عصره. وكذلك تعرفت على شقيقه سلطان الهتمي الذي يميل مع هتمي بن أحمد الهتمي وآخرون الى الفكر القومي العربي، والذي كان يعمل في وظيفة حكومية في مسعيد. كما تعرفت على أحد أركان نادي الطليعة الرجل الطيب محمد (العود) الهتمي الذي لم يفارق نادي الطليعة ليلة واحدة حتى ليلة القبض على نادي الطليعة على حد قول الزميل محمد العالي، فقد بقي محمد العود صامدا صمود أهل قطر الكرام، كما تصمد شجيرات العوسج ووتتحمل قسوة بيئة قطر الطبيعية القاسية.

أعدت الاتصال بأصدقائي الذين شاركوني طموح إنشاء ناد ثقافي وسبق وقمت معهم بجمع اشتراكات شهرية من أجل ذلك، فاستجاب كل من خليفة السويدي وصالح السليطي، وفاتحت أحمد الخال وخالد الربان وكانا على صلة بشباب آخرين يعملون من أجل الغرض نفسه ولكن بتوجهات سياسية مختلفة عما نعمل له، منهم حمد الحميدي واحمد معرفيه وآخرين، واتفقنا أن ينضم إلينا ناصر بن أحمد بن خالد زميل الدراسة في مصر ومحمد العالي وشقيقه عبد الله بعد أن استبعدنا من لهم ميول حزبية حسب تقديرنا، وذلك من أجل تأسيس ناد ثقافي لا يعبر عن لون سياسي محدد وإنما يهتم بالقضايا الوطنية العامة.

بدأنا تنفيذ فكرة إنشاء ناد ثقافي وطني من غير المتحزبين – حسب علمي آن ذاك- ومن شباب يتقاربون في السن، على ثلاثة محاور : أولها: تحضير قائمة بالمرشحين لعضوية النادي. وقد بدأت مع مبارك الهتمي بتسجيل أسماء المرشحين على بكرة آلة حاسبة أخذناها من البنك، ولأهمية تلك البكرة / السجل ورمزيتها، فإن صورتها لم تفارق ذاكرتي وكأنني أراها اليوم. وقد دعي أغلب المرشحين للعضوية بعد الاتفاق مع الجماعة المؤسسة وحضر أغلبهم الجمعية التأسيسية للنادي التي انتخبت مجلس الإدارة. ثانيها: عقد اجتماعات مسائية في كراج والد محمد وعبد الله العالي، لوضع دستور النادي بمن حضر من الجماعة المؤسسة. ثالثها: الشروع في الحصول على تبرعات نقدية وأثاث وآلة كتابة وبقية احتياجات النادي الثقافي مثل الكتب لتجهيز المكتبة وأثاث المقر بعد تأجيله.

وقد تم ذلك بفضل جهد ومساهمة لجنة التأسيس وخاصة خليفة السويدي الذي أتى بالآلة الكاتبة التي تبرع بها شقيقه سالمين بن خالد السويدي، وهي اصعب المطلوبات لأنها في ذلك الوقت تحمل شبهة النية في إصدار منشورات. وكذلك وفر خليفة أثاث مكتب لإدارة النادي ربما تبرع به سحيم وناصر بن حمد، ولكنه لم ينضم إلى عضوية النادي وإنما بقي يراقب عن بعد وليس ببعيد عما يحدث، وهذا هو ما يفضل الصديق أبو خالد ويجيده.

أثناء عملنا للتحضير من أجل تأسيس النادي سجلت في الدراسة الليلية في الصف الاول ثانوي وان كان دوامي متقطعا ولم أقدم امتحان آخر العام بسبب الانشغال بالنادي، إضافة الى وجود فرصة

تقديم الشهادة الثانوية نظام ثلاث سنوات. كما شرعت أعاون والدي في تدبير المبلغ الذي نحتاجه لبناء بيتنا في حي أم غويلينه الذي كانت تكلفته ثماني عشرة الف روبية، وقمت من جهتي بالحصول على قرض من البنك العربي بضمن المعاش بعد ان انتقلت للعمل في وزارة المعارف والتحت بقسم التغذية في أوائل عام ١٩٦٠.

وفي قسم التغذية تعرفت الى صديق العمر الذي لم تنقطع صلتي به ابدا ولم تتراجع، عبد الله جمعة الكبيسي زميل الدراسة الليلية والعمل في قسم التغذية وفي نادي الطليعة، وكذلك زميلنا في قسم التغذية الرجل الطيب خليفه غباش ابن الرجل الفاضل الشيخ محمد غباش من أهل رأس الخيمة، الذي كان يعمل آنذاك في دار الكتب القطرية.

ولم تمر فترة التحضير لتأسيس نادي الطليعة دون تنمية علاقات وترسيخ صداقات هي زاد الحياة والمعنى السامي فيها، وقد استمر عدد من تلك الصداقات متصلا حتى يومنا هذا وبعضها الآخر بقيت منه الذكريات الجميلة والمعرفة الراسخة الطيبة المبنية على التقدير والاحترام مهما اختلفت مواقع الزملاء.

وفي تلك الفترة كان لدينا على هامش جهود تأسيس نادي الطليعة وبعد تأسيسه، برنامج رحلات بحرية على سفينة يملكها أخوال ناصر بن أحمد وكان منهم محمد بن عبد الله وخميس بن عبد الله الخليفي، اللذان قضينا معهما أوقاتا جميلة في رحلات بحرية من الدوحة شرقا وبعضها تبدأ من مسيعيد إلى جزيرتي الاسحاط وشراعوه.

كما كانت لنا رحلات برية مع جاسم المسلم وعبد الرحمن الوهبي وعيسى بن زيد السويدان ومحمد بن عيسى النصر، منها رحلة الى الحرارة في جنوب غرب قطر لمشاهدة الجن حيث يشاع وجودهم هناك ولكننا والله الحمد لم نر الجن بالرغم من تحرينا لظهورهم بعد الغروب!.

تأسيس نادي الطليعة

لا أتذكر بالضبط تاريخ بدء نادي الطليعة لنشاطه، إلا أنني أذكر أننا قد بدأنا التحضير لإنشاء ناد ثقافي في أواخر عام ١٩٥٩، ولعلنا نكون قد انتهينا من أهم الخطوات التحضيرية وهي كتابة النظام الاساسي وإقرار قائمة المرشحين للعضوية في مطلع عام ١٩٦٠. وهنا تم الاتفاق على اطلاق نادي ثقافي باسم " نادي الطليعة "، ربما بتأثير كل من أحمد الخال وخالد الربان اللذين كانا من ضمن المجموعة الثانية التي كانت تسعى الى تأسيس ناد ثقافي باسم نادي الطليعة.

كما تم تحديد أهداف النادي على النحو التالي: " أ- رفع المستوى الثقافي والاجتماعي في البلد. ب- المساهمة في بث الروح الرياضية والجمع الاخوي بين الشباب ". وتحدد شعار النادي في "الأخلاق والعمل والإخلاص ". وقد كان النظام الاساسي شاملا وجيدا، الامر الذي يدل على أننا استعنا بنصوص نظم أساسية وكيفناها لحاجتنا (٣).

بعد الاتفاق على اسم النادي ونظامه الاساسي، بدأنا في استكمال التحضير لافتتاح النادي. قمنا بتأجير بيت عربي كبير فيه ست حجرات وحوش واسع، بنينا فيه بأيدينا منصة مسرح النادي، وقد أخذنا الطابوق اللازم لتشييدها من حوطة كبيرة في رأس أبو عبود، كان بينها أحد كبار واضعي الايدي على الاراضي، فوضعنا أيدينا على ما يحتاجه تشييد المسرح من طابوق. نقلنا ذلك الطابوق ليلا بسيارة جيب يملكها ناصر عمر الدفع . أما (استاد) البناء فقد كان الزميل محمد يوسف العالي الذي كنا نسميه Jack of all trades ، وقد شاركته في تصميم المسرح وشكل سقيفة الملحن والستارة كما رأيت في مسارح القاهرة.

وفي الحقيقة أن محمد العالي كان يقوم بالعديد من المهمات ويجيد كل المهن فأين وضع يده وجدت حرفيا متميزا، فهو سكرتير النادي والممثل الاول في مسرح النادي، والبناء والنجار والحداد وعازف العود المتمكن والكاتب في مجلة النادي، والمخترع الذي كان تصميمه لصاروخ بدائي انطلق بقوة البارود لمسافة ٢٠ مترا - وقد نشرت مجلة النادي صورته -، أحد اسباب الحملة المضادة لوجود النادي باعتبار ذلك الاختراع قد يشجع على صنع متفجرات.

يقع مقر النادي في فريج الغانم الجديد، مقابل قسم التغذية، غرب سوق فهد الدوسري الحالي، وبجانبه كانت جماعة من البلوش أو الشرشنية تقطن مساكن من الصفيح احترقت بعد مدة، مخلفة أصابات وحروق لعدد من جيراننا. ولعل تلك المجموعة من المهاجرين المستقرين بعائلاتهم، كانت نواة لما يسمى اليوم (البدون) في قطر.

يملك مبنى النادي تاجر من تجار المواد الغذائية في سوق واقف، وكانت قيمة ايجار البيت ٢٥٠ روبية وهي أكثر من مجموع اشتراكات اعضاء النادي، التي تحددت بعشر روبيات في الشهر وهذا دليل على طموح إدارة النادي الذي لم تحد منه الامكانيات المالية.

بعد أن استقر النشاط في مبنى النادي، عقدنا جمعية عمومية حضرها عشرون عضواً هم الأعضاء المؤسسون للنادي. وحسبما أذكر فإن أعضاء النادي هم: أحمد عبدالله الخال وأحمد عبد الله المالكي وبدر خليفة السادة وجابر أحمد السليطي وجاسم محمد المسلم وحمد غانم السليطي وخالد محمد الربان وخليفة غانم الكبيسي وخليفة محمد غباش وراشد حسن الدرهم وسالم رزق وسعد صالح الباكر وسيف عيسى النصر وصالح سعيد العلي وعبد اللطيف الجابر وعبد الله جمعة الكبيسي وعبد الله عبد اللطيف السادة وعبد الله يوسف العالي وعلي خليفة الكواري ومبارك راشد الهتمي ومحمد حمد الهتمي ومحمد عيسى النصر ومحمد يوسف العالي وناصر أحمد بن خالد الثاني وناصر عمر الدفع .

أقرت الجمعية التأسيسية النظام الأساسي وانتخب رئيس النادي، كما انتخب بقية أعضاء مجلس الإدارة . كان عدد الحضور في اجتماع الجمعية العمومية عشرون عضواً مؤسساً، وقد حصلت على (١٦) صوتاً لتولي منصب رئيس النادي ولم يصوت ثلاثة من الأعضاء الحضور بالرغم من عدم وجود منافس. وقد علمت فيما بعد أن من بين الحضور الذين لم يصوت لصالحه، لأنهم كانوا يظنون بأنني قريب من اتجاه "الإخوان المسلمون"، أحمد الخال وخالد الربان وعبد اللطيف الجابر - وهم من أعز الأصدقاء اليوم - بعد أن كانوا ممتنعين عن التصويت لي من باب المناكفة السياسية.

كذلك انتخب الجمعية التأسيسية بقية أعضاء مجلس الإدارة المكون من ستة أعضاء إضافة إلى رئيس النادي. وتم في اجتماع لاحق لمجلس الإدارة توزيع مهام المجلس على أعضائه كما يلي : علي خليفة الكواري رئيساً، خالد محمد الربان نائباً للرئيس، محمد يوسف العالي سكرتيراً عاماً، مبارك راشد الهتمي أميناً للصندوق، أحمد عبدالله الخال سكرتيراً للنشاط الثقافي، ناصر أحمد الثاني سكرتيراً للنشاط الاجتماعي، أحمد عبدالله المالكي عضو مجلس الإدارة .

بعد انعقاد الجمعية التأسيسية وانتخاب مجلس الإدارة، انطلق النادي في نشاطاته بما يحقق أهدافه، مرجناً حفل الافتتاح إلى حين تقديم النادي لنشاطاته وتعرّف الجمهور عليها، بما يبين اختلاف نادي الطليعة عن الأندية الرياضية التي جاء نادي الطليعة ليوجد بديلاً عنها، للشباب عامة وطلاب المدارس على وجه الخصوص.

وبعد ان تم ذلك وانتهت امتحانات العام الدراسي ١٩٥٩/١٩٦٠، أقام النادي حفل افتتاحه في شهر يوليو عام ١٩٦٠. وقد استقبل ذلك الحفل بالبهيج خير استقبال من الجمهور ومن بعض الأندية الرياضية أيضاً. وقد أشادت مجلة النادي بحفل الافتتاح ونشرت فعالياته وصورا عنه.

استمر نشاط النادي يتصاعد ويتطور بعد حفل الافتتاح، بالرغم مما كان يثار من إشاعات مغرضة ضد نشاط النادي. كانت السلطات منشغلة عنه في ذلك الوقت بمفاوضات تسوية الخلاف بين مراكز القوى في الأسرة الحاكمة تحت إشراف سلطات الحماية البريطاني، والذي نتج عنه توافق ١٤ أكتوبر ١٩٦٠ حيث تولى الحكم بموجبه الشيخ أحمد بن علي وأصبح الشيخ خليفة بن حمد ولياً للعهد ونائباً للحاكم، كما سبقت الإشارة .

وقد أخذت نشاطات النادي تتركز منذ بدايتها في أربعة محاور رئيسية:

أولها: النشاط الثقافي

والنشاط الثقافي هو عماد نشاطات النادي، كان ينسقه أحمد الخال ويتكون من مجلة النادي والمكتبة والمحاضرات والأمسيات الثقافية. وقد تحدث في أول محاضرة عامة أحمد علي التاجر وهو طالب حقوق في جامعة القاهرة ومن مثقفي شباب البحرين، لا اذكر عنوان المحاضرة وان كنت أظن ان ملخصا عنها نشر في مجلة النادي. وأول أمسية شعرية كانت بين عبد الله الجيداه وحسن النعمة، وهما ليسا من أعضاء النادي حيث قررنا عدم دعوتهما للعضوية لوجود شبهة انتماءات سياسية لدى كل منهما!. وقد اتضح اختلاف التوجهات بين عبد الله وحسن من خلال أبيات الشعر التي كان يرد بها كل منهما على الآخر. فقد كانت تلك الامسية تعكس الصراع الدائر في العراق في عام ١٩٦٠ بين القوميين والشيوعيين بعد قيام ثورة تموز ١٩٥٨ والتي أيدها عند قيامها جميع الوطنيين التقدميين في العراق والوطن العربي، ولكنهم كعادة العرب حتى يومنا هذا اختلفوا عقائديا واستعر بينهم الصراع الذي ادى بثورة ١٤ تموز ومزق النسيج الوطني العراقي، بل أثر على علاقات القوى التقدمية في الوطن العربي التي أيدت عن بكرة أبيها ثورة ١٤ تموز في العراق ولكنها اختلفت حول نظام الحكم الذي يجب أن تتبناه حكومة الثورة.

وما أشبه اليوم بالبارحة عندما نرى اليوم حدة الاستقطاب والشقاق بين القوى التي قامت أو شاركت في التحركات العربية من أجل الديمقراطية في عام ٢٠١١. وذلك بعد أن ابتعدت القوى التي تنشئ التغيير السلمي عن قواسمهما المشتركة، وفقدت نخبها احترام بعضها لبعض ومن ثم القدرة على العمل المشترك، وانزلت إلى صراع مفتوح خسرت فيه جميع القوى التي كانت تنشئ التغيير السلمي لصالح موجات من العنف والعنف المضاد المدمر.

كانت مجلة الحائط التي اطلق عليها أسم "الوطن" والتي بقيت منها مسودات خمسة أعداد دون صور، هي من أهم نشاطات النادي الثقافية التي طورت ملكة الكتابة لدى أعضاء النادي ورفعت وعيهم الوطني والقومي.

كنا نطبع بأنفسنا المجلة على آلة كاتبة مستخدمين الكربون للحصول على نسخة إضافية نضعها في مكتبة النادي فضلا عن العدد المعروف على الحائط. وأظن ان مبارك الهتمي وخليفه غباش وخليفة بن غانم الكبيسي، كانوا من بين الذين يعرفون الطباعة على الآلة الكاتبة آنذاك. ومما يؤسف له أننا قد فقدنا تواريخ صدور المجلة وبعض عناوين ما تم نشره وأسماء بعض الكتاب وكذلك الصور التي تم نشرها في المجلة. وذلك لأن أحمد الخال كان يكتب العناوين بخط يده الجميل على النسخة المنشورة على الحائط فقط ولم تظهر في نسخة الكربون.

وإذا ألقينا نظرة سريعة على المجلة التي اصدرها النادي باسم "الوطن" نجد أن العدد الاول تضمن افتتاحية باسم أسرة تحرير المجلة، تعتذر فيها هيئة تحرير المجلة عن تأخر صدورها بسبب الحرص على المستوى الثقافي لها. ويبدو أن المجلة صدرت في يونيو ١٩٦٠ لأنها تذكر في أحد أخبارها " انتهت أمس ١٠/٦/١٩٦٠ الزيارة الرسمية التي قام بها الرئيس جمال عبد الناصر لليونان ".

من بين كتاب المجلة الأكثر مساهمة حسبما أذكر، أحمد الخال وخالد الربان ومحمد العالي وخليفة الكبيسي وعبد الله جمعة الكبيسي. وقد نشرت لي المجلة في العدد الأول القصة القصيرة التي كتبتها أواخر أيام إقامتي في القاهرة وخواطر حول ما يعجبني وما لا يعجبني في قطر. وكان موضوع مخاطر الهجرة الايرانية على قطر والخليج وموضوع النضال العربي من أجل الوحدة والتقدم، وكذلك أخبار الثورات العربية والأحداث المحلية من أكثر الموضوعات المطروقة في كافة الاعداد. وقد كتب خالد

الربان في العدد الاول نقدا لموقف الشيوعية من القومية، وتناول محمد العالي أسباب تخلف العرب بعد أن أقاموا حضارة عظيمة.

وفي العدد الثاني كتب خليفة غانم الكبيسي عن نضال الشعب العربي من أجل الوحدة. وكتب عبد الله الكبيسي قصة العدد والتي لم أتبين عنوانها وإن كانت تحكي قصة سفينة تغرق. وكتب أحمد الخال باب مشاكل وخواطر. وقدم أحمد الخال أيضا قراءة نقدية للعدد الاول من المجلة بين فيها - أحمد الخال المشرف على المجلة - أبواب المجلة وتناول الموضوعات المطروحة مشيدا بالروح الثورية لمحتويات المجلة ومضمون المقالات، وتوقف عند القصة القصيرة التي نشرت لي في العدد الاول وتناولها بالنقد وتمنى لو أنني اسهبت فيها وأوضحت ما بين السطور.

وفي العدد الثالث كتب مبارك الهتمي عن "واجب الوحدة والتعاون" وكتب سعيد ناجي وهو زميل من اليمن لمحة عن الوطن العربي والديار اليمنية. وهناك أيضا قراءة نقدية للعدد الثاني لم أتبين اسم كاتبها. ويبدو أنني أنا الذي قدم قراءة العدد السابق كما تبين قراءة العدد الثالث والتي نشرت في العدد الرابع.

وفي العدد الرابع كتب خليفة غانم الكبيسي عن الجزائر والاستعمار، كما كتب عبد الله جمعة الكبيسي عن المخترعات الحديثة ومنها التلفون والدبابة وتضمن العدد نص قصيدة الرصافي "يا قوم لا تتكلموا أن الكلام محرم". وتوجد قصة قصيرة بعنوان "أيش صار يا جمعة؟ ماميش ياثوم يا خوي". وكذلك توجد قراءة نقدية للعدد الثالث لم أتحقق من حقيقة كاتبها. كما توجد تغطية لحفل افتتاح النادي في ١٤ تموز ١٩٦٠ المصادف لذكرى ثورة العراق لعام ١٩٥٨.

وفي العدد الخامس - وهو آخر الأعداد التي وصلت إلينا - وقد يكون هناك أعداد تالية فقدت، نجد نص قصيدة لسليمان العيسى "تباركت أرض البطولات" ومقال عن إيران والخليج العربي بقلم محمد يوسف العالي وكذلك قصة قصيرة. ومقالة لي حول خطر الهجرة الايرانية على قطر، ومقالة حول كوارث السيارات وأخرى حول مستقبل الرياضة وثالثة بعنوان "لا فائدة في العلم بدون عمل"، وقراءة نقدية للعدد الرابع لم أتبين أسماء كاتبها.

ثانيها: النشاط المسرحي

نشاط المسرح في نادي الطليعة كان من أهم النشاطات وأكثرها صدى، وهو نشاط جديد على أهل قطر أقبل عليه الجمهور، وكان وسيلة لطرح القضايا الوطنية والاجتماعية، كما كان مصدرا لتمويل النادي.

في مسرحية "قطر بين الماضي والحاضر"، أخر مسرحيات النادي كان الحضور كثيفا ناهز ٢٠٠ مشاهد وكانت التذكرة تباع بخمس روبيات. الأمر الذي ساعد النادي على تمويل نشاطاته ومواجهة مصروفاته والاستمرار في تمويل النشاطات الجديدة بفضل وجود فائض معتبر من الإيرادات الذاتية للنشاط المسرحي. وعندما تم إقلاق النادي كان في حساب النادي لدى بنك المشرق كما أتذكر، رصيد مالي معتبر قمنا بسحبه من البنك بتوقيع من أمين الصندوق ومني قبل ان تصادره الحكومة، واحتفظنا بالمبلغ عند أمين الصندوق مبارك الهتمي حتى وقت تبرعنا بالمبلغ للمجهود الحربي في مصر عام ١٩٦٧.

اختيار موضوعات المسرح وكتابة المسرحيات وإخراجها وكذلك التمثيل، كان يقوم به أعضاء النادي أنفسهم. وأذكر اننا قدمنا مسرحية عن "الفتاش" وهو مدعي العلاج بتحضير الجن وطردهم ممن يتلبسهم الجن من النساء خاصة، وكانت تلك الآفة ظاهرة متفشية في قطر اردنا تحذير الناس منها، كما قدمنا مسرحية عن ثورة عمان.

أما المسرحية الهامة والتي ربما كانت سببا مباشرا في غضب السلطة على النادي، فهي مسرحية " قطر بين الماضي والحاضر ". كانت المسرحية تطرح الفوارق التي ظهرت بين أهل قطر والتميز بينهم، بعد ان تدفقت عائدات النفط وتم تخصيصها بطرق جعلت معظم أفراد الشعب القطري هم الاقل استفادة منها. بل إن القطريين الذين كانوا عماد المجتمع والنشاط الاقتصادي والاجتماعي فيه أصبحوا على الهامش، يتعرضون للتسريح من قبل شركة نفط قطر في وقت شحّت فيه فرص العمل. جاءت فكرة المسرحية ونص أولي حولها من الزميل صالح محمد السليطي، وقمت بإخراجها بعد ان ساهم معظم المشاركين في التمثيل في الإضافة للحوار والحذف منه خلال بروفات المسرحية.

قام بدور الحاكم - وكان في ذلك الوقت الشيخ أحمد بن علي- الزميل محمد العالي الذي اكتشفنا قبل أن يبدأ الظهور على المسرح أنه لم يحضر بشتاً أو عباءة، فأخذنا ننظر في الحضور فوجدنا الصديق صالح سعيد العلي يلبس عباءة سوداء فاخرة، فطلبنا منه أن يعيرنا إياها ليلبسها بطل المسرحية. وبعد أن لبسها محمد العالي وقام صالح بتعديل (رزة) عقال محمد العالي، أصبح على هيئة قريبة من شكل الحاكم. وقد قام صالح السليطي بدور سكرتير الحاكم فلبس العقال الفتل والبشت مثلما كان يلبسه سعيد المرزوقي سكرتير الحاكم آنذاك. وهنا أصبحت المسرحية معبرة عن فكرتها ومشخصة للأطراف الفاعلة في أحداثها. الأمر الذي جعلها تنجح وتصبح حديث المجالس في قطر.

وأذكر أن سالم رزق وهو زميل من فلسطين قام بتمثل دور مدير الشركة الانجليزي الذي يسرح العمال القطريين. كما قام حمد غانم السليطي وآخرون بتمثيل أهل قطر من العاملين في الشركة الذين كانوا يذكرون الحاكم بالماضي ويؤكدون على حقوقهم في الحاضر في ظل الثروة التي حبا الله بها قطر من باطن الارض.

ثالثها: الرحلات إلى جميع أنحاء قطر

النشاط الرئيسي الثالث يتمثل في نشاط الرحلات، وقد نظم النادي سلسلة من الرحلات البرية والبحرية الاستطلاعية للتعرف على شبه جزيرة قطر، غطت شمال قطر بشك خاص. زرنا خلالها الجميلية والخوير والزبارة وقلعة مريير وهي أطلال قلعة برتغالية حسب ظني، مبنية من الطين وكان أمامها مدافع قديمة. وهذه الاطلال أزيلت بعد زيارتنا لها وأخذ صور لها بأعوام قليلة، ربما في الوقت ذاته الذي جرى فيه ازالة قلعة الزبارة التاريخية، في محاولة لطمس الأثر (أنظر الصور). و كانت احدى رحلات النادي، رحلة بحرية إلى جزيرة الساقلية.

كانت هناك أيضا رحلات ترفيهية ورياضية خلال فصل الشتاء خاصة، مليئة بالمفاجآت والألعاب التقليدية مثل مفاجأة زملائنا النائمين في الخيام بتجسيد شكل حيوان كبير يسمى الفريسة، حيث يقوم شخصان مغطيان ببطانية، بتشكيل جسم ذلك الحيوان. واذكر ان ردة فعل زملائنا كانت متباينة، فهناك من غطى نفسه بالحاف وترك الآخرين يواجهون الوحش، وهناك من صرخ ينيشد المعونة، وهناك من تحسر على موعد عرسه الذي ظن أنه لن يبلغه ! مثلما كانت ردة فعل زميلنا سعد الباكر الذي كان على وشك الزواج .

وإلى جانب تلك النشاطات الرئيسية كنا نلتقي في النادي من بعد صلاة العصر حتى بعد صلاة العشاء بوقت، ينشغل بعضنا بأعمال النادي من مجلة ومسرح وأعمال إدارية ويقضي البعض وقتا في المكتبة او في نقاش الشأن العام في صالون النادي. كما يشاهد بعضنا محطة ارامكو والأفلام العربية والأجنبية التي تبثها. لقد كان النادي الذي أستمر وجوده حوالي عام ونصف العام امتدادا للمدرسة والعمل والمنزل، يتفاعل في بيئته الوطنية الثقافية ومع نشاطاته الاعضاء والزوار، بشكل يختلف عن كافة الاندية الرياضية السائدة في قطر آنذاك.

كان النادي لا يتعاطى مع كرة القدم بأي شكل من الاشكال، بل إن النادي فكر أن يؤسس نشاطا رياضيا لا يتضمن كرة القدم وإنما كرة السلة وكرة الطائرة. ومن أجل ذلك قام زملاؤنا في مدرسة صلاح الدين، بدر خليفة السادة وراشد الدرهم وعبد الله عبد اللطيف السادة، بدعوة الاستاذ عمر الخطيب، استاذ التربية البدنية في المدرسة لزيارة النادي من اجل المساعدة في تأسيس نشاط رياضي خاص بالنادي يستثني كرة القدم ويركز على كرة السلة والطائرة.

ولسوء الحظ فقد تمت مداهمة النادي أثناء زيارة الاستاذ عمر الخطيب الذي اعتقل مع من كان حاضرا في النادي. وقد كان اعتقال الاستاذ عمر الخطيب ورطه، فهو غير قطري بين المعتقلين الذين كانوا جميعهم قطريين، وقد كانت مسألة إبعاده عن البلاد محتملة. لذلك نشط الحضور إضافة إلى أصدقاء الاستاذ عمر ومحبيه بشكل استثنائي وسريع، لإخراج الاستاذ من الورطة التي شاءت الصدفة ان تضعه فيها. وقد كان ذلك حيث تم رفع الحجز الاولي وأفرج عن الاستاذ عمر، ربما عندما كان الزملاء محجوزين في النادي وقبل الوصول للسجن.



٤-٢-١ رحلة نادي الطليعة الى قلعة مريير عام ١٩٦٠ يظهر في الصورة الزملاء من اليمين محمد النصر و عبدالله العالي و ناصر آل ثاني . (لمزيد من صور قلعة مريير انظر صفحة صور نادي الطليعة في موقعي)



٤-٢-١ رحلة نادي الطليعة عام ١٩٦٠ الى قلعة الزبارة و يظهر في الصورة رواق مسجد قلعة الزبارة الذي ازيل مع اثار القلعة كلها .



٤-٢-٣ رحلة نادي الطليعة الى قلعة الزبارة عام ١٩٦٠ يظهر في الصورة من الاعلى : محمد الهتمي (العود) ، احمد الخال ، علي خليفة الكواري ، محمد النصر ، ناصر آل ثاني ، عبدالله العالي و خالد الربان جالسين حول عين الماء في القلعة .



٤-٢-٤ اعضاء نادي الطليعة يتفحصون مدفع قديم في قلعة الزبارة يظهر في الصورة من اليمين محمد الهتمي (العود) ، سيف النصر ، ناصر آل ثاني ، علي الكواري ، سعد الباكر ، خالد الربان ، عبدالله العالي ، محمد النصر ، احمد الخال ، محمد العالي .



٤-٢-٥ اعضاء نادي الطليعة عام ١٩٦١ يحيطون بالفريسة (تصغير فرس) التي اربعتهم في الليل يظهر في هذه الصورة ايضا احمد المالكي .



٤-٢-٦ اعضاء نادي الطليعة يسحبون الماء من البئر خلال رحلة ١٩٦١.



٤-٢-٧ اعضاء نادي الطليعة في زيارة اطلال قرية العريش في شمال قطر امام مدرستها المهجورة .

ليلة القبض على نادي الطليعة

ليلة القبض على نادي الطليعة، عنوان استعيره من مقال منشور على موقعي للزميل محمد العالي السكرتير العام لنادي الطليعة، الذي كان حاضرا وقت أقتحام النادي من قبل فداوية حاكم قطر وقوة عسكرية بقيادة قائد الشرطة كوكرن ونائبه برقس وضباط عرب، وكان نصيب محمد العالي من المقتحمين لحنة التلفزيون في النادي، ضربة بكعب بندقية على الرأس عندما احتج على كسر تلفزيون النادي لإسكاته بدلا من إغلاقه من المفتاح (١) .

كان نادي الطليعة منذ بداية انشائه موضع شك ومحط مراقبة من السلطة. ومع استمرار النادي وتزايد نشاطاته، أصبح غير مرضٍ عنه من قبل الحاكم وقيادة الشرطة وأركان الامن من الانجليز. وربما جرى التفكير في إغلاق النادي - الذي لم يكن انشاؤه في ذلك الوقت يحتاج إلى ترخيص من جهة حكومية-، منذ أن بدأ نشاطه في عام ١٩٦٠. ولعل الباحثين في أرشيف الوثائق الانجليزية يجدون من المراسلات والتقارير ما يفيد ذلك. ولكن ظروف قطر آنذاك وخاصة ترتيبات انتقال الحكم من الشيخ علي الى الشيخ أحمد، قد أخرت قرار الاغلاق إلى حين.

وبعد أن تمت تلك التسوية بتولي الشيخ أحمد الحكم وتسمية الشيخ خليفة وليا للعهد ونائبا للحاكم في أكتوبر ١٩٦٠، واستقرت أوضاع الشراكة في الحكم بين أقطاب الأسرة الحاكمة، أصبح اغلاق نادي الطليعة محتما و حل أوانه، كما سبق أن أغلقت السلطات "المكتبة الاسلامية" عام ١٩٥٤.

وقد جاء الوقت المناسب للتخلص من نادي الطليعة بعد عرض مسرحية " قطر بين الماضي والحاضر"، وكانت مجلة النادي أيضا قد نشرت صورة لقطعة الصحف التي ملأها الزميل محمد العالي بالبارود وانطلقت لمسافة ٢٠ مترا وذلك ابتهاجا بتلك التجربة العلمية.

لقد تمت مدهامة النادي - في تقديري- في الربع الثاني من عام ١٩٦١ أواخر شهر نيسان/ابريل أي بعد حوالي عام ونصف على إنشائه. كانت المدهامة بعد صلاة المغرب وكان الحضور في النادي يشاهدون فيلماً عربياً لأنور وجدي يبيت من محطة تلفزيون أرامكو.

تواجد كالعادة عدد من الزملاء بعد صلاة المغرب في النادي مبكرين لمشاهدة فلم عربي يبيت من محطة ارامكو في الظهران. وكان الحضور هم : بدر خليفة السادة وجابر أحمد بن خميس السليطي وخالد محمد الربان وخليفه غانم الكبيسي وراشد حسن الدرهم وعبد الله يوسف العالي ومحمد حمد الهتمي (محمد العود) ومحمد يوسف العالي. هذا بالإضافة الى الأستاذ عمر الخطيب كما سبقت الإشارة. وكان حاضرا معهم أيضا صاحب الدكان المجاور للنادي و الذي جاء يستوفي دين مشروبات غازية قد طلبها بعض الحضور لزوم السهرة مع فيلم أنور وجدي.

فوجئ الزملاء بهجوم كاسح على النادي وعلى الغرفة التي يشاهدون التلفزيون فيها. هجوم جاء في مقدمته الفداوية الذين كانوا مشحونين بجسامة الخطر الذي يمثله النادي على الحكم الجديد، ومتوقعين مقاومة مسلحة من أعضاء النادي يليهم عدد من رجال الشرطة وضباطها العرب وعلى رأس الحملة نائب القائد العام للشرطة برقس يقود الهجوم العسكري المباغت.

بدأ المهاجمون يأمرؤن الزملاء بترك الكراسي والجلوس على الأرض، محطمين كل ما يقع في طريقهم من أثاث ومن نطق منهم بكلمة ضرب بكعب بندقية، كما حصل مع الزميل محمد العالي الذي احتج على كسر التلفزيون.

ويذكر خالد الربان انه رأى أحد الزملاء يخرج ورقة صغيرة من جيبه ويرميها على الأرض فما كان منه إلا ان التقطها ووضعها في فمه وبعد المضغ بلعها احترازا ان تكون تلك الورقة تحمل سرا يجب ألا يصل الى علم الشرطة.

بعد ان سيطر المدهامون على الحضور، توزعوا يفتشون حجات النادي والحوش وخشبة المسرح، وارتقى بعضهم السطح لكي يفتشوه. كانوا يمزقون الكراسي ويقلبون الطاومات ويكسرون أرفف المكتبة،

ناثرين الكتب على الارض قبل جمعها ومصادرتها. وبعد أن انتهوا دون ان يحصلوا على ما كان يتوقعون الحصول عليه من أسلحة ومتفجرات، جمعوا الزملاء في سيارة للشرطة ورحلوهم إلى السجن في قلعة الشرطة شمال غرب حي الرميّة، حيث توجد قيادة الشرطة. ولحسن الحظ أن الضباط العرب في ضوء وساطة الحضور، تفهموا سبب زيارة عمر الخطيب وأطلقوا سراحه وكذلك صاحب الدكان المجاور الذي أصابته ضربة على رأسه سال على اثرها الدم.

وبعد ان تم ترحيل الزملاء إلى السجن، استمرت قوة من الشرطة تساندها مصفحة حسبما يذكر أحمد الخال الذي وصل الى النادي متأخرا، فوجد النادي محاطا برجال الشرطة وجمهور كبير يتفرج من الخارج على ما يحدث، فما كان من أحمد الخال إلا أن شق الصفوف بثقة متوجها الى مدخل النادي فاعترضته الشرطة متسائلة، فقال انه يريد أن يدخل إلى النادي لأنه عضو مجلس إدارة وسكرتير النشاط الثقافي ليكون مع زملائه أعضاء النادي. فكان احمد الخال صيدا ثمينا للشرطة التي احتجزته في ليوان النادي امام المكتبة في انتظار ترحيله إلى السجن.

ويذكر أحمد الخال أنه رأى التفتيش مستمرا وتمزيق الاثاث جاريا والبحث على أشده داخل الحجرات وعلى سطح النادي، وانه شهد وصول قائد الشرطة كوكرن الى النادي وتفقد المكان وعملية التفتيش بصحبة نائبه، قبل أن يرحل أحمد الخال في سيارة شرطة إلى السجن .

كان تصرف أحمد الخال عاطفيا ومن باب الشهامة وتجنبنا لذهاب الفداوية إلى بيته وإزعاج والدته وأهله. وكان ذلك على خلاف تصرف عدد من أعضاء النادي الذين جاءوا متأخرين وشاهدوا ما حدث، فما كان منهم إلا أن عادوا أدرجهم دون أن يلقوا بأنفسهم طواعية في السجن. ومن الزملاء الذين تصرفوا بتعقل وحيطة جاسم المسلم الذي عاد أدرجه عندما وجد الشرطة تحاصر النادي وذهب ليشكر أصدقاءه الذين عطلوا سيارته لكيلا يذهب إلى النادي مبكرا، لأنهم كانوا على ما يبدو على علم مسبق بما كان سيجري.

وهذا ما ذكره أيضا محمد يوسف العالي حين قال بأن والده نصحه هو وشقيقه بالأى يذهب إلى النادي في ذلك المساء دون أن يبدي سببا لتلك النصيحة. ويعتقد محمد أن هناك من أسر إلى والده باحتمال مدهامة النادي، لكن محمداً وشقيقه عبد الله حسبا بأن والدهما كان يحاول - كعادته - منعهما من الذهاب الى النادي الذي أصبح يشكل بالنسبة لأعضائه انتماءً ومجالاً اجتماعياً. ويقول محمد أن والده عندما عاد الى البيت متأخرا مرّ على والدته وقال لها لا تنتظري أولادك الليلة، وذهب لينام دون ذكر السبب.

بالنسبة لي فإنني كنت في النادي في ذلك اليوم بعد العصر، ثم خرجت مع مبارك الهتمي بعد صلاة المغرب كعادتنا في بعض الاحيان، حيث كنا نقوم بنقل الركاب بين رأس أبو عيود والدوحة في سيارة مبارك الاوستن القديمة. وكان غرضنا جمع مبلغ من المال يكفي لوجبة مقلقل (قطع من اللحم مقالية مع البصل والبطاطس اللذيذ) تعد في مطعم الصومالي في قلب مدينة الدوحة بقرب البنك العربي.

لا أذكر كيف وصل الى علمنا ما جرى للنادي والزملاء في ذلك المساء، حيث وصلنا متأخرين بعد أن انتهت الحملة الأمنية وانسحبت الشرطة. بعد ذلك التقينا بزميلنا ناصر بن أحمد الثاني وقررنا أن نمر على منازل زملائنا، نتفقد الموجودين وننشاور معهم وننقل الى عائلات الذين لم يعودوا الى منازلهم احتمال اعتقالهم. ومن الأمهات اللاتي لم يغمض لهن جفن في تلك الليلة، والدة الزميلين محمد وعبد الله العالي، التي قال لها والدهما ان ابنك لن يعودا تلك الليلة وذهب لينام دون ذكر السبب.

وفي صباح اليوم التالي لليلة القبض على نادي الطليعة قام أعضاء النادي بنشاط في محيط علاقة كل منهم، فذهبنا ناصر بن أحمد وأنا إلى مريخ لمقابلة جدّه خالد بن أحمد ، كبير آل أحمد وكان شيخا كبير السن سمح الوجه من رجالات قطر الكبار، و شرحنا له الوضع ونشدناه التدخل من أجل أن يعامل زملائنا بالعدل وأن يطلق سراحهم فوراً أو أن يقدموا الى محاكمة عادلة في القريب العاجل. وقد وعدنا الرجل الكريم خيرا وهدى من روعنا على زملائنا ولم يأل جهدا فيما وعد به.

وفي صباح اليوم الثالث لليلة القبض على نادي الطليعة أتاني والدي داخل البيت وطلب مني الذهاب معه إلى المجلس، وهناك وجدت (سرور) وهو أحد رجال الشيخ أحمد يتناول القهوة مع الوالد فسلمت عليه وقلت: خيرا إن شاء الله . قال الرجل وهو يبتسم : خير إن شاء الله، الشيخ أحمد يريد أن يقابلك، فتأكد لي ما توقعته وكنت مستعدا له.

ذهبت مع سرور في سيارته واتجه بي إلى حي الجسرة القريب من ديوان الحاكم، وهناك وجدت محمد العطية ينتظر في سيارته ومعه عبد الله يوسف الجيده فنزلت من السيارة وبعد السلام عليه طلب مني الركوب معهما في سيارته وانطلق باتجاه قلعة الشرطة حيث سجن زملاؤنا. تأكد أمر السجن وطلبت من محمد العطية ان يبلغ الشيخ أحمد بضرورة محاكمتنا دون تأخير أو إطلاق سراحنا.

أول وآخر دخول الى السجن إن شاء الله

وصلنا الى السجن في قلعة الشرطة بالرميلة - الزميل عبد الله الجيدة وأنا - . سلمنا محمد بن عبد الله العظيمة إلى مأمور السجن الذي كان بالصدفة ابن خالي أحمد بن راشد الكواري، الذي سكنت معه غرفة واحدة في دخان، كما سبقت الإشارة .

وأحمد بن راشد في مقدمة أهل الغارية وشباب دخان الذين اهتموا بالدراسة حيث اجتاز امتحان الشهادة الابتدائية في عام ١٩٥٨ عندما كنت لا أزال في الاول إعدادي، وبعد ذلك استقال من شركة نفظ قطر والتحق بالحكومة في إدارة الصحة مسئولاً إدارياً في مستشفى النساء وهو "مستشفى حمدة" كما سماه أهل قطر، بسبب وجود الطبيبة الدكتورة اقبال حمدي وهي طبيبة مصرية مشهورة جدا في قطر لدرجة تسمية المستشفى على اسم عائلتها بعد تأنيته وقد أصبحت مديرة للمستشفى بعد صراع مع مديره الطبيب الانجليزي.

التحق أحمد بن راشد - بعد مدة - بشرطة قطر برتبة وكيل ضابط وعين مأمورا للسجن حتى أصبح مديرا لإدارة المرور ثم انتقل إلى الجيش بعد الاستقلال وبلغ أعلى الرتب العسكرية فيه قبل أن يتقاعد.

أخذني أحمد إلى زنزانة انفرادية كان بها خالد الربان وكانت فرحة خالد بي عظيمة بعد يومين من السجن الانفرادي الذي لا يتحملة خالد بحكم طبيعته الاجتماعية وخلقته الودود للناس، الامر الذي يجعله لا يتصور الحياة منفردا.

كان في السجن أعضاء نادي الطليعة الذين قبض عليهم في النادي وقد سبق لي ذكر اسمائهم وأنا العضو الوحيد الذي تم سجنني بعد ذلك ربما بسبب كوني رئيس النادي، اما بقية الاعضاء الذين لم يكونوا في النادي ليلة المداهمة فلم يسجن منهم احد، وان كانوا على أهبة الاستعداد وفي الانتظار.

وإلى جانب أعضاء النادي تم سجن عدد من الشباب الذين تعتقد الحكومة بأن لهم ميولا سياسية بالرغم من عدم اشتراكهم في النادي وهم: حمد الحميدي وأحمد معرفيه وعبد الله الباكر وعبد الله الجيده. قضيت مع الزملاء يومهم الثالث مسجونين بشكل منعزل عن بعضنا بعض، دون إجراء أي تحقيق مع أي منا ودون ان نقابل أي مسئول غير مسؤولي السجن. وفي اليوم الرابع فتحت الزنازين وتركت لنا جميعا حرية التواجد المشترك، وبذلك بدأت حياتنا الاجتماعية في السجن وتحول السجن إلى رحلة من رحلات النادي.

أصبح بدر السادة مسئول مخزن التموين حيث نضع كل ما يردنا من أهالينا من أكل وحاجيات لديه لتكون تحت تصرف الجميع، وتشكلت فرقة الموسيقى والغناء بقيادة مطرب النادي محمد العالي، وكان بدر السادة من خفة ظله وفكاهته ينهض كلما غنى الزملاء "يا علي صوت أنا بالصوت الرفيع" حتى ولو كان نائما. وكان يحضر إلى العنبر الذي نسجن فيه رجل رقيق المشاعر اسمه سعيد زايد وكان صاحب صوت جميل يحفظ اغاني ام كلثوم ويردد في كل مرة أغنية "هجرتك يمكن انسى هوك" للسيدة أم كلثوم والدموع تغرق عينيه.

بعد فترة سمح بزيارة الاهل لنا في السجن، وبعد أسبوعين تقريبا خفنا ان تطول المدة ومعظم زملائنا من الطلاب الذين ستفوتهم امتحانات آخر العام ومنهم أحمد الخال وعبد الله الجيدة في الثانوية العامة. بدأنا نناقش الامر وما يحسن بنا عمله، وجاءت فكرة الاضراب عن الطعام في مقدمة ما يجب أن

نقوم به. وقد شرح لنا الزميل عبد الله الباكر الطالب في كلية الطب في القاهرة اننا لن نموت فجأة خلال الاضراب ولكننا سوف نشعر بالجوع والإرهاق في اليوم الثاني أو الثالث و عندها ننقل إلى المستشفى. قررنا الاضراب عن الطعام يوم الجمعة حتى يعرف ذوبنا بالأمر، وينقلوا الخبر بعد زيارتهم لنا يوم الجمعة. كما قررنا توزيع كل ما لدينا من أكل في مخزن بدر السادة على السجناء الآخرين، ورفضنا قبول الوجبات المقدمة لنا. وقد حاول عبد العزيز بن ثاني آل ثاني الذي كان محتجزا في قسم آخر من السجن ان يكرمنا بوليمة دسمة، ولكننا بقينا على قرارنا وطلبنا من إدارة السجن ألا تسمح بدخول الطعام إلى عنبرنا إلا بطلب منا.

مر يومان ونحن صامدون، وقد بدأت زيارات لنا من قبل بعض شخصيات قطر من بينهم عبد العزيز بن خالد الغانم وآباء وأقرباء عدد من زملائنا، يحثوننا على فك الاضراب ويعدون بإطلاق سراحنا في القريب العاجل، ولكننا أصررنا على الاضراب وقلنا لزملائنا من يجد منكم صعوبة في الاستمرار، فعليه التظاهر بالإعياء حتى ينقل الى المستشفى ويفك الاضراب.

كان اول المستفيدين من هذه الرخصة عبد الله الجيداه حيث سقط بيننا مغشيا عليه في اليوم الثالث واستدعينا إدارة السجن ف جاء احمد بن راشد وأخذة الى المستشفى. ومن الطريف أن مدير السجن عندما وصل الى المستشفى حمل عبد الله على ظهره متجها به الى غرفة الطبيب المناوب، وفي هذا الاثناء كانت السيدة الفاضلة الحنون أم عبد الله الجيداه في المستشفى ربما في انتظار عبدالله!، فصرخت " أه على ولدي " فأجابها عبد الله " لا تخافين يمه أنا بخير". الأمر الذي اخرج مدير السجن أحمد بن راشد و جعله يضع عبد الله على الارض ويقول له " إذا كنت بخير امش إلى غرفة الطبيب".

وبعد دخول عبد الله الجيداه المستشفى أدخل محمد يوسف العالي المستشفى وبعض من زملائنا الآخرين. وفي اليوم الرابع لاحظنا ان هناك ميلا لدى البعض لفك الاضراب ولم يبق سوا أحمد الخال وخالد الربان و أنا مصريين على استمرار الاضراب، في وقت انتقل فيه البعض الى المستشفى بحسب الخطة والبعض على وشك فك الاضراب. عندها قررنا نحن الثلاثة بألا نفك الاضراب إلا في المستشفى واختلفنا على من يتظاهر بالإعياء منا أولا، كل منا يريد أن يكون الأخير فأجرينا قرعة والتزمنا بها، حيث سقط أولنا في صباح اليوم الرابع والثاني في وقت الظهر والأخير في ساعة الغروب، وبذلك نقلنا للمستشفى في اليوم الرابع من الاضراب عن الطعام .

في المستشفى بدأت الاتصالات معنا لإقناعنا بإنهاء الاضراب. وكانت الشخصية القطرية التي سعت مشكورة بذلك وليس لها بين المعتقلين ابن أو قريب هو عبد العزيز بن خالد الغانم. وعبد العزيز الغانم من شخصيات قطر المحترمة جدا وهو من بقية باقية استمرت تحافظ على عادات أهل قطر في التدخل عندما يكون هناك ما يستحق التدخل من أجله لإصلاح ذات البين.

ولمكانة عبد العزيز الغانم عيّن أول رئيس لمجلس الشورى في قطر في عام ١٩٧٢ بعد "الحركة التصحيحية" التي أستولى فيها الشيخ خليفه على الحكم، واستمر عبد العزيز الغانم في مكانه لمدة تزيد على عقد من الزمن وخلفه في ذلك المنصب علي بن خليفة الهتمي الذي كان من ضمن الشخصيات التي زارتنا في السجن وله قريب تم سجنه معنا هو محمد بن حمد الهتمي، ومثله عدد من الآباء أذكر منهم محمد بن خالد الربان وأحمد بن خميس السليطي ووالدي .

سعى عبد العزيز الغانم ووفد الآباء أن يطمئنونا على قرب إطلاق سراحنا، ولكننا كنا واضحين معهم بأننا سنعود الى الإضراب عن الطعام حال عودتنا الى السجن. وبعد ايام قليلة وبعد أن قضينا في السجن ٢١ يوما تم إطلاق سراحنا دون محاكمة او تحقيق ودون تبعات على أي منا، عاد الطلاب إلى

مدارسهم والموظفون إلى أعمالهم دون فتح ملف أمني مركزي لأي منهم يرجع إليه عند كل قرار حكومي يتخذ بخصوصه، كما أصبح الحال عليه بعد ذلك، وزاد هذه الأيام.

ولكن المؤسف ان الحكومة لم تعد فتح النادي بل صادرت كل املاكه، ومنها الكتب وباعتها في المزاد العلني واحتفظت لنفسها بقيمتها الهزيلة. ولذلك ذهبنا أنا و خالد الربان – رئيس النادي و نائب الرئيس - إلى الشيخ خليفة بن حمد ولي العهد ونائب الحاكم آنذاك نناشده السماح بإعادة فتح النادي حيث لم يثبت عليه أي من الاشاعات التي كانت سببا في إغلاقه بالشكل العنيف الذي تمت به مdahمة النادي بحثا عن أسلحة ومتفجرات. استمع إلينا الشيخ خليفة منفردين به في مجلسه الخاص ووعدا خيرا، ولكن يبدو أن التسوية التي تمت بينه وبين الشيخ أحمد لم تعد تسمح بتلبية طلبنا الذي كان آخر طلب رسمي من قبلنا لاستعادة النادي.

وأنتي اليوم أتمنى على الشباب أن يسعوا إلى إحياء روح نادي الطليعة والمحافظة على تراثه والعمل على عودته ومواصلة نشاطاته بشكل مادي او افتراضي على شبكة المعلومات، ليقوم بدوره الثقافي بين طلاب وطالبات وشباب اليوم عامة، بما يعزز دور المجتمع القطري الذي طمست اليوم معالم هويته وأنكرت مصالح شعبه، تحت مد التوسع السكاني الخطير حيث انكسرت روح المبادرة الأهلية الوطنية السلمية المسئولة عند أهل قطر، بسبب استخدام العصا أحيانا وبتوظيف الجزرة في أغلب الاحيان.

ملاحظات

١. أنظر : رسالة كوكرن قائد الشرطة المترجمة في كتاب : مصطفى الدباغ : "قطر ماضيها وحاضرها " ، ص ١٩٧-٢٠٠ ، والتي تصف مراسم الاتفاق على انتقال الحكم من الشيخ علي لابنه الشيخ أحمد وتسمية الشيخ خليفة بن حمد وليا للعهد ونائبا للحاكم بحضور ممثلي سلطة الحماية ووجود بارجة انجليزية أطلقت المدافع معلنة الحدث.
٢. مصطفى الدباغ ، مصدر سابق ، ص ٥٤
٣. للاطلاع على نص النظام الأساسي انظر موقعي الالكتروني ، نافذة : المبادرات / نادي الطليعة